مغدوشة

تَبعد بلدة مغدوشة عن العاصمة بيروت نحو ٥٠ كلم. سكانها المقيمون نحو ثمانية آلاف نسمة. عدد منازلها نحو الألف. الاتجاه اليها: بيروت، الدامور، صيدا، مفرق جنوبي صيدا على جسر سينيق (معروف بـ"مفرق مغدوشة") ومنه خمسة كيلومترات شرقاً فتطلُّ مغدوشة متربعة على رابية جميلة ترتفع عن البحر نحو ٢٥٠ الى ٢٩٠م.

تاريخها

بلدة عريقة في القدم، ترقى الى عمر الإنسان في لبنان (كسائر الروابي اللبنانية المشرفة على البحر الابيض المتوسط امتداداً من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال). سكنها اللبناني الأول بعد أن حفر بيته في صخورها، ولا تزال آثار خمسة من هذه المغاور والكهوف واضحةً حتى اليوم في مشارف مغدوشة، أبرزها مغارة "سيدة المنطرة" إحدى تلك المساكن والمعابد .

تمتاز أكمة مغدوشة بموقع جميل فريد: ينبسط البحر أمامها غرباً، ويرنو إليها الجبل شرقاً، وشمالاً تبدو منها قرى ومدن متناثرة مدروزة واحدة حَدَّ الأُخرى في إقليمي التفاح والخروب وصولاً الى العاصمة بيروت، وجنوباً تطلُّ منها قرى الجنوب الصامدة.

أغدق الله على مغدوشة هذا الجمال الطبيعي

برج سيدة المنطرة

فحيكت حولها الأساطير، منها أنّ عشتروت (إلهة الحب والجمال عند الفينيقيين) رفضَت أن تسكن في صيدا بل آثرت السكن في التلال المجاورة، فطارت وهبطت مختارة أكمة مغدوشة موئلاً لها بين أشجار الصنوبر والزيتون وكروم العنب الخصيبة. ويقال إنّ الناس قديماً كانوا يؤدّون لها فرائض عبادة وثنية تقضي بأن يجتمعوا في مكان (عند عين الحلوة لا يزال يعرف حتى اليوم بمغاور طبلون) ثم ينتقلوا من هناك في دهليز تحت الارض باحتفالات دينية حاملين الذبائح ومزوّدين بأضحيات يقدمونها لعشتروت استرضاء لها وإكراماً في المكان حيث تقطن، وهو الذي أصبح لاحقاً وحتى اليوم مقاماً للسيدة العذراء.

هذا الجمال الرائع في الموقع جعلَ القديسة هيلانة (والدة الأمبراطور الروماني قسطنطين الكبير) تطلب من ابنها (سنة ٣٢٤) أن يبني برجاً

مقدساً لعبادة العذراء، في المحلة المعروفة اليوم بـ"محلة البرج"، يرتفع عليها اليوم تمثال برونزي للسيدة العذراء تَمَّ تثبيتُه (في ١٩٦٣/٥/١٦) على عهد المطران باسيليوس خوري.

ازدهرت مغدوشة على عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، حين توافدَ إليها مَن باتوا أهلها اليوم، بتشجيع من المطران أفتيموس الصيفي (سيم مطراناً على أبرشية صيدا وصور سنة ١٦٨٣) وكان كاهناً في منطقة حوران فسَهَّل لهم المجيء من خبَب (حوران) الى مغدوشة.

أصل الإسم

عن أنيس فريْحة (في كتابه "أسماء المدن والقرى اللبنانية") أنّ كلمة "مغدوشة" سريانيةُ الأصل، مشتقّةٌ من "مكَدّسُون" (= جامعو الغلال أكداساً وعرمات). والأرجح أنّ اسم "مغدوشة" مُحرَّف من جذر "قدش" السرياني (القاف في اللغات الشرقية القديمة تنقلب الى غَين، والسين الى شين) وتالياً "قدش" (ومشتقّاتها قاديشو، قاديشات، مقدوشو،... السريانية) تعني قدس، وقدوس ومقدّسة بالعربية، فيكون اسم مغدوشة مشتقاً من جذر "قدس" وتعني "مقدسة".

وعن روايات متداولة منذ القرن الثامن عشر أنّ السيّدة العذراء جاءت مغارة مغدوشة مع التلميذ يوحنا الحبيب، ما يوضح القصد من تأكيد قداسة المكان. وقد يكون السيّد المسيح جاء ذاك المقام لاصطحاب والدته ومَن معها في طريق عودته الى فلسطين. ومن هنا تسمية "الدرب" (الطريق الطويل والبعيد) لبلدة درب السين (أو درب السيم): الاسم الأول يعني بالسريانية الطريق المؤدي الى مطلع الشمس والقمر، والآخر يعني باللاتينية الطريق المؤدي الى القمة، والمعنيان واحد.

سيدة المنطرة

اقترن اسم مغدوشة باسم مريم العذراء فعُرِفت ببلدة العذراء، وعُرفت المغارة بـ"سيدة المنطرة في مغدوشة" كما يشير النص على مدخل المغارة: "مقام سيدة المنطرة العجائبي في خراج مغدوشة، اكتشفه سكان القرية سنة ١٧٢١ واستخدموه كنيسة لهم ومدفناً لكهنتهم وموردا لرزقهم". ويَشيع أن راعياً (أو فلاّحاً) اكتشفها عرَضاً في القرن السابع عشر فوجد فيها مذبحاً عليه صورةٌ خشبية للعذراء. واكتشف علماء الآثار قرب موقع المغارة آثار قلعة صليبية (فرانش غارد) وكتابة فينيقية محفورة في الصخر.

أمام المغارة ثلاث قناطر يعلوها صليب بناها جاك أبيلا (قنصل إنكلترا في صيدا) سنة ١٨٦٨ شكراً للعذراء على شفائه من فالج.

ومنذ اكتشاف المقام أخذ المؤمنون يؤُمّونه مقدّمين نذورات وتقدمات على شفاءات وعجائب من السيّدة العذراء لمسلمين ومسيحيين في لبنان وخارجه، أبرزها

المزار

ستّ عشرة أُعجوبة ذكَرَها المطران باسيليوس حجار في كتابين (١٩١١ و١٩١٣). وبفضل هذا المقام باتت مغدوشة بلدةً سياحيةً، وجعل أبناؤُها نهارَ الثامن من أيلول "عيد السيّدة" (ميلاد السيّدة العذراء) يتقاطر إليه المؤمنون من الجوار والأبعد يشاركون بالعيد والصلوات. ثم تمازجت احتفالات العيد باحتفالات شعبية فولكلورية (دقّ الطبل، نفخ الزمر، اللعب بالسيف والترس، رقصات ودبكات شعبية محلية، سباق الخيل، حمل الجرن، دقّ الجرس، ...). واتّخذ العيد بُعداً رُوحياً رسولياً كرّس المقام إيمانياً ذا جذورٍ من فجر المسيحية، فبات الجنوب معظمُهُ يشارك في العيد ونيلِ البركة من والدة الإله، ويتقاطر مواطنون من الشوف والبقاع وبيروت وسائر أنحاء لبنان ضيوفاً على الْمَغادِشة مكرّمين كأنهم في بلداتهم.

أهل مغدوشة

لا غرابة في أريحية الْمغادشة، فهُم كرامةُ محتدٍ وأصلٌ عتيد، متحدّرون من الغساسنة الأقحاح، يباهون بهذا الانتماء ويجهدون في الحفاظ على عادات وتقاليد تليدة موروثة: كرم سخيّ، صفاء ذهن، عذوبة صوت، محبة القريب والغريب، حسن الضيافة، سعة المنْزل، تكريم النّزيل، وارتحاب بالضيف قريبه والبعيد.

عندما وفدَ أهل مغدوشة إليها، انكبُّوا على زراعة القمح وطحنه في بلدتهم (لا تزال آثار خمسة طواحين باقيةً حتى اليوم)، ثم زرعوا الزيتون وحوّلوه زيتاً في معاصرهم البدائية (ثلاث لا تزال منها اثنتان حتى اليوم)، ثم زرعوا الكرمة وأصّلوها وجلبوا العنب الحيفاوي (من فلسطين) فاشتُهر بـ"عنب

البازيليك

مغدوشة" وصّنعوه واستخرجوا منه كحولاً وخموراً، ثم زرعوا النارنج (ليمون البوسفير) وأجادوا صنعه حتى لَيندر أن يخلو بيتٌ في مغدوشة اليوم من الكركة (الأنبيق) فاشتهر ماء الزهر المغدوشي لبراعة تقطيره وحسن استخراجه.

وبرع المغادشة أيضاً في الصناعة (الخياطة النسائية والرجالية، النجارة، الحدادة، الإسكافة، النحت الحجري،...) وفي فن البناء (أخذوه عن بنائين من آل الخرياطي في جون ساعدوهم على بناء كنيستهم سنة ١٨٩٥، ومنذئذٍ برعوا فبنوا أبنية حجرية منحوتة ومصقولة في لبنان وسوريا وفلسطين).

وأهل مغدوشة أبناءُ علم (أول مستشفى في صيدا مورست فيه الجراحة العامة كانت لمغدوشيّ) وذوو معرفة (المعلمون الأُوَل في عهد الاستقلال) انتشروا في الجنوب يلقّنون العلم وينشرون المعرفة بين جنوبيين كانوا محرومين منه عهدذاك.

داخل المغارة

درب المزار

موقع قريب من مغارة سيدة المنطرة، عليه رموزٌ حجرية تُظهر أعمال الرب في لبنان، وذلك في ١٢ محطة:

المحطة الأولى: الملك سليمان الحكيم بنى هيكل أورشليم من خشب أرز الباروك (سفر الملوك ٥: ٥-١٠)، وكان حيرام ملك صور، تلبية لرغبة سليمان، يبعث بخشب الأرز من جبل الباروك وببنائين من مملكته.

المحطة الثانية: النبي إيليا في الصرفند (سفر الملوك الأول – فصل ١٧): في زمن إيليا جفّت الأنهر لأن الأمطار كانت محتجبة، فأرسل الرب إيليا الى امرأة في الصرفند أطعمته بعض الدقيق والزيت مما كان لديها فخلصت مع ابنها، ومن حينها لم تعُد تفرغ جرة الدقيق لديها، و عادت تنقص قارورة الزيت.

المحطة الثالثة: النبي يونان في الجية (سفر يونان ١، ٢، ٣، ١-٥) طلب الله طلب من النبي يونان الانطلاق الى نينوى ليدعو شعبها الى التوبة. هرب من مسؤوليته وأبحر في سفينة، لكنّ العاصفة هبّت ففهم أنها إشارة لأنه لم يُطع مشيئة الرب، ورغب أن يلقى في البحر. لكنّ الرب أرسل له حوتاً ابتلعه ليخلّصه من الغرق فمكث يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ الى أن قذفه الحوت في منطقة الجية.

تمثال سيدة المنطرة عند مدخل المغارة

المحطة الرابعة: معجزة في قانا الجليل (يوحنا الفصل ٢، ١-١٠)حيث أجرى السيد المسيح أولى عجائبه نزولاً عند رغبة أمه محولا الماء الى خمر.

المحطة الخامسة: المرأة الكنعانية (متى فصل ١٥، ٢١-٢٨)، لما وصل يسوع الى ضواحي صور وصيدا جاءته امرأة فينيقية كنعانية راجية إياه أن يشفي ابنتها المعتراة من الشيطان. ولما لاحظ يسوع عظيم إيمانها استجاب لها.

المحطة السادسة: سيدة المنطرة، وفي مغارتها كانت تنتظر مريم أم يسوع عودته من زيارته المنطقة.

المحطة السابعة: يسوع في بانياس (متى فصل ١٦، ١٣- ١٩) جاء يسوع الى منطقة قيصرية فيليبس (مرجعيون) وسأل تلاميذه: "من تقول الناس أني هو"؟ فأجاب سمعان بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي" فقال له يسوع "أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني بيعتي و قوات الجحيم لن تقوى عليها".

المحطة الثامنة: تجلّي الرب يسوع على جبل الشيخ (متى فصل ١٧، ١- ٥) صعد يسوع الى جبل عال مثلما فعل قبله موسى وإيليا وهما يظهران في تجلّي الرب يسوع. كان يرافقه ثلاثة من تلاميذه (بطرس ويعقوب ويوحنا) وبينما هو يصلي تجلى أمام أعينهم فإذا بوجهه يصبح كالشمس وإذا بثيابه تصبح بيضاء كالثلج.

مشهدان من درب المزار (المحطة الرابعة والسابعة)

المحطة التاسعة: توما الرسول في مدينة صور (يوحنا فصل ١٤، ٥–٦) الرسول توما الملقب بالتوأم قصد مدينة صور وبشّر فيها، وفي ما بعد شيّدت كاتدرائية على اسمه.

المحطة العاشرة: الرسول بولس في صيدا (أعمال الرسل فصل ٢٧، ٣) فيما هو قاصدٌ روما ليدافع عن نفسه أمام القيصر توقفت السفينة في مرفأ صيدا فسمح له القبطان يوليوس أن يزور أصدقاءه المسيحيين فقضى عندهم مكرَّماً ثلاثة أيام.

المحطة الحادية عشرة: لبنان أرض قداسة، أغنى الكنيسة بقديسيه وطوباوييه ومكرّميه: القديس شربل، القديسة رفقا، القديس نعمة الله الحرديني،

المكرم الأب يعقوب الكبوشي، ورجل الله الأب بشارة أبو مراد.

المحطة الثانية عشرة: أعلن قداسة البابا يوحنا "بولس الثاني" عام ١٩٨٩في كومبوستيل (إسبانيا) أنّ "لبنان أكثر من بلد: إنه رسالة".

منظر عام للبلدة

لبنان ـ وزارة السياحة
٥٥٠ شارع مصرف لبنان، ص.ب. ٥٣٤٤/١١، بيروت ـ لبنان
هاتف: ٤/٣/٢/١/٩٤٠٣٤٠ـ١ـ٩٦١ ـ فاكس: ٩٦١ ١ ٣٤٠٩٤٥
الخط الساخن: ١٧٣٥
العنوان الكتروني: Web site: www.destinationlebanon.gov.lb
البريد الكتروني: E-Mail: mot@lebanon-tourism.gov.lb
© الحقوق محفوظة لوزارة السياحة ـ لبنان
النص: الشاعر هنري زغيب

يوزع مجاناً

Designed & Printed by Chemaly & Chemaly s.a.l. 2006

لبنان

مغدوشة

لبنان
وزارة السياحة